



الجغرافيا عندما تصنع فناً

أدب الرحلات

مجموعة كبيرة من الكتابات المختلفة في نواح متعددة

يعد أدب الرحلات أحد أنواع الأدب الذي يَصوِّرُ فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمورٍ في أثناء رحلة قام بها إلى أحد البلدان.

داروين وأندريه جيد وأرنست همنجواي ونجيب محفوظ، رغم التباعد الكبير فيما بينهم؛ لأنَّ الفكرة التي تجمعهم هي فكرة الرحلة نفسها، الرحلة الزمانية أو المكانيّة أو النفسية.

أدب الرحلات ليس لونا واحداً من الكتابات، ولكن تدرج تحت اسمه مجموعة كبيرة من الكتابات المختلفة في نواح متعددة من حيث أسلوب الكاتب، ومنهج الكتابة، والغرض من الكتابة، والجمهور الذي يتوجه إليه الكاتب.

الشيء الوحيد الذي تشترك فيه كل هذه الكتابات أنها تصف رحلة يقوم بها شخص ما إلى مكان ما، ومن هنا يمكننا أن نربط

وفضلاً عن المضمون الأدبي الذي تحويه كتب أدب الرحلات، فإنها تعد من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، وذلك نظراً إلى ما يستقي منه الكاتب من معلومات وحقائق من خلال المشاهدة الحية، والتصوير المباشر، مما يجعل قراءتها غنية، ممتعة ومسلية، فضلاً عن كونها يجمع بين طياتها العديد من الآداب والفنون عن المجتمعات التي يمر بها إلى مجتمع الأصيل، وهو الأمر الذي جعل عدداً كبيراً من الروايات والقصاص يمكن أن يندرج بصورة ما تحت مسمى أدب الرحلات، فهذا المسمى الواسع كما نرى قادر على استيعاب أعمال ابن بطوطة وماركو بولو وتشارلز

بين المكان وأدب الرحلات، فقد نشط أدب الرحلات أساساً على أيدي الجغرافيين والمستكشفين الذين اهتموا بتسجيل كل ما تقع عليه عيونهم أو يصل إلى آذانهم حتى لو كان خارج نطاق المعقول، ويدخل في باب الخرافة. وبالإضافة إلى تسجيل رحلات الرحالة، هناك نوع آخر من أدب الرحلات وهو القصص الخيالية الشعبية ومثالها: سندباد الذي يعد رمزاً للرحالة المدمن

للرحلة، والقصص الأدبية ومثالها: قصة ابن طفيل عن حي ابن يقظان، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري، والملاحم الشعرية والأدبية الكبرى في تاريخ الإنسانية تعد كذلك من أدب الرحلات، كملاحمة أبي زيد الهلالي وغيرها؛

لأن هذه الملاحم تبنى في جوهرها على حكاية رحلة يقوم بها البطل لتحقيق هدف معين، وقد تبنى تلك الرحلات الأسطورية على بعض الوقائع التاريخية أو الشخصيات الحقيقية في عصر ما، ثم يترك الشاعر لخياله العنان؛ ليخلق الملاحمة التي هي خلاصة رؤية المجتمع لقضاياها الكبرى في مرحلة زمنية معينة.

وقد عرف العرب أدب الرحلات منذ القدم، ولعل من أقدم نماذج الذاتية، رحلة السيرافي بحراً إلى المحيط الهندي في القرن الثالث الهجري، ورحلة سلام الترمجان إلى حصون جبال القوقاز عام 227 هـ، بتكليف من الخليفة العباسي الواثق، للبحث عن سد بأجوج ومأجوج، وقد روى الجغرافي ابن خردادبه (ت 272 هـ) أخبار هذه الرحلة. ثم تأتي رحلات كل

من: المسعودي مؤلف «مروج الذهب»، والمقدسي صاحب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، والإدريسي الأندلسي في «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، هذا إلى رحلة الرحالة المؤرخ عبد اللطيف البغدادي.

وتأتي رحلة البيروني (ت 440 هـ)، المسماة «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة»، نموذجا فذا مخالفاً كل ما سلف، إذ تعد وثيقة تاريخية مهمة تجاوزت الدراسة الجغرافية والتاريخية إلى دراسة ثقافات مجتمعات الهند قديماً، ممثلة في لغاتها وعقائدها، وعاداتها.

أدب الرحلات

منبع خصب

للمعلومات

من خلال

المشاهدات الحية